العدد 5 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية آيار 2024
No. 5 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences May. 2024
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

الانتزاع الدلالي

م. د. آمنة حُسين يوسف الفوازي*
العراق/جامعة بابل/ كلية التربية الاساسية/قسم اللغة العربية
bas535.amnia.hussien.@uobabylon.edu.iq

مستخلص

تناول هذا البحث الدلالة او الدلائل التي يستدل بها على المعنى. وللوقوف عليها كان لزاما على البحث أن يمر على الدلالة من جهتي اللغة والاصطلاح ليبيّن ماهيّة الدلالة وحدّها. فالبحث مهمته البحث عن الدلالات التي يمكن انتزاعها لذا وقفنا على (الانتزاع) لكشف المشتركات بينه وبين الدلالة، لدخولهما في البعد الذهني التصوري، فهو ميدانه التصورات الذهنية الاولية وما ينتزع منها. والدلالة بطبيعتها لا تبتعد عن ذلك. ولمركزية موضوع التعدد في الدلالة أو امكانية انتزاعها في البحث ، لذا تطرّقنا به الى اقسام الدلالة وانوعها. كما تطرق البحث الى بعض المحددات التي يجب اعتبارها في تحديد الدلالة وما يمكن أن تستدعيه من دلائل أخر ضمن حدود القصدية والمعيارية اللغوية. وتوصل البحث الى ان الدلالة بين اللفظ والمعنى هي دلالة مركزية ولها أن تنتدب دلالات أخر يمكن الوقوف عليها من جهة الاستدلال في الوصول الى المعنى.

كلمات مفتاحية : المعنى ، الدلالة ، استدلال

Semantic extraction

L. Dr.. Amna Hussein Youssef Al-Fawazi
Iraq/University of Babylon/College of Basic Education/Department of Arabic Language
bas535.amnia.hussien.@uobabylon.edu.iq

Abstract

This research dealt with the significance or evidence that indicates the meaning. In order to find out about it, the research had to go through the significance from both the language and terminology aspects to clarify the essence of the significance and its definition. The task of research is to search for meanings that can be extracted, so we focused on (extraction) to reveal the commonalities between it and meaning, because they enter the mental, conceptual dimension, as it is the field of primary mental perceptions and what is extracted from them. The meaning, by its nature, does not deviate from that. Due to the centrality of the subject of multiplicity of meanings or the possibility of extracting them in research, we therefore discussed the sections and types of meaning. The research also touched on some of the determinants that must be taken into account

* الاسم الرباعي واللقب/ آمنة حسين يوسف محمد الفوازي
*حاصلة على شهادة بكالوريوس اللغة العربية في جامعة بابل-كلية التربية/ قسم اللغة العربية.
*حاصلة على شهادة عليا (ماجستير في اللغة العربية) بتخصص الادب في جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية-قسم اللغة العربية.
*حاصلة على شهادة عليا (دكتوراه في اللغة العربية) بتخصص الادب في جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية-قسم اللغة العربية.
*حاليا مدرس جامعي في جامعة بابل/ كلية التربية الاساسية / قسم اللغة العربية .

in determining the meaning and what other evidence it may entail within the limits of intentionality and linguistic normativity. The research concluded that the connotation between the word and the meaning is a central connotation and can lead to other connotations that can be identified in terms of inference in arriving at the meaning.

Keywords: meaning, significance, inference

ناصية البحث

بسمه تعالى

يعود الفضل الى وجود القرآن الكريم بين ايدي المسلمين في مسألة التوثيق لنتاجاتهم اللغوية والنقدية فبفضله هبّوا للتدارس والتباحث بشكل اكبر واكثر جديّة وتنظيم وصاروا يدونون نتاجاتهم فعرفنا –مثلا- ان الدرس الدلالي عندهم نشأ بوقت مبكر جدا سواء أكانوا تدارسوه اصوليا أم منطقيا أم بلاغيا ولغويا.. المهم انهم وقفوا عند (الدلالة) وبيّنوا اقسامها وعللوا قوة وضعف بعض الدلائل عن بعض كما فعل ابن جني واستمر الدرس اللغوي، البلاغي، النقدي والى يومنا هذا. وهذا البحث جاء استمرارا للجهود التي بذلت في سبيل تلقي النصوص الالهية بشكل دقيق سعيا للوصول الى المعاني المبتغاة منها والتي جاءت في سبيل ايصالها. فوقف البحث على عبارة التوحيد الاولى (أشهد أن لا اله الا الله) للوصول الى معناها الدقيق والوقوف على ما وراء ذلك المعنى او ما يوصل اليه، فكان لابدّ من معرفة الدلالة او الدلائل التي يستدل بها على المعنى. وللوقوف عليها كان لزاما على البحث أن يمر على الدلالة من جهتي اللغة والاصطلاح ليبيّن ماهيّة الدلالة وحدّها. ولان البحث مهمته البحث عن الدلالات التي يمكن انتزاعها فكان من الضروري الوقوف على (الانتزاع) لتبيان مدى توافر المشتركات بينه وبين الدلالة، اذ إنهما يدخلان في البعد الذهني التصوري، والأخير ميدانه التصورات الذهنية الاولية وما ينتزع منها. والدلالة ايضا لا تبتعد عن ذلك. لذا نجد اهل الفلسفة والمنطق أدلوا بدلوهم في توجيهها لاتصالها بالتفكير، وكذلك اصحاب علم النفس كونهم وجدوها تدور في حيّز الشعور واللاشعور والذاكرة والتصور والتخيّل وتداعي المعاني فلم يفوتوا فرصة الخوض في غمارها لعدم ابتعادها عن العقل والعاطفة[1]. وكون مركزية الموضوع التعدد في الدلالة أو امكانية انتزاعها فتطرّق البحث الى اقسام الدلالة وانوعها، فوجود اكثر من دلالة و وجود اكثر من مستوى يمكن التقاطها فيه ينبئ بامكانية انتزاعها حتى من الدلالة المركزية او الدلالة الواحدة. ولان الدلالة متعلقة بالألفاظ ومعانيها ولكثرة التنازع في العلاقة بينهما من جهة الاعتباطية والقصدية تصدى البحث الى بعض المحددات التي يجب اعتبارها في تحديد الدلالة وما يمكن أن تستدعيه من دلائل أخر ضمن حدود القصدية والمعيارية اللغوية كي لا يبقى الحبل على الغارب في ادّعاء دلائل بعيدة جدا عن الدلالة المركزية أو الدلالة الصحيحة الأم. وبالتزام البحث اثناء عمله بهذه المحددات توصل الى ان اللفظ والمعنى بينهما دلالة يمكن أن تكون هي الأم أو المركزية أو الاولية ولها أن تنتدب أو تنتزع أو تستدعي أو تستحضر دلالات أخر يمكن الوقوف عليها من جهة الاستدلال في الوصول الى المعنى، لذا فالدلالة اللفظية في الشاهد الذي عنيت به الدراسة (أشهد أن لا اله الا الله) امكنت من انتزاع دلالة عقلية ودلالة قلبية وأخرى نقلية وجميعها لم تبتعد عن الدلالة الأم ولم تخالفها ولم تتعارض معها وانما اعتمدت عليها وانطلقت منها في الاثبات الاستدلالي. وختم البحث بخاتمة تضمنت نتائج موجزة وثبت المصادر واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

[1] ينظر: دلالة الالفاظ: 6.

الدلالة

تحمل الدلالة معنى الاشارة والتوجيه والتسديد لتجذر هذه المعاني في جذرها اللغوي وما يقابله من معنى فهي مأخوذة من دل والتي تعني إبانة الشيء بأمارة تتعلمها وذلك من قولهم دللت فلانا على الطريق والدليل الامارة في الشيء وهو بيّن الدِّلالة والدَّلالة[2]. وأيضا من دلّه على الشيء يدله دلا ودلالة فاندل : سدده إليه، ودللته فاندل ، وايضا دل يدل إذا هداه ، والدليل ما يستدل به أي الدال[3].

فالدلالة لم تحتكر لمجال معين وانما تملك حرية في التنقل بين كل ما يحمل معنى الدال والمدلول حتى قيل انها ما يتوصل به الى معرفة الشيء دونما اي تحديد لذلك الشيء فجعلوها كدلالة الالفاظ على المعاني ودلالة الاشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب وكدلالة حركة انسان فيعلم انه حي[4]. ومنه قوله تعالى ((ما دلهم على موته الا دابة الارض)) {سبأ:14}، ولذا وصفت بانها علاقة تضايف بين الدال والمدلول وانها تتحدد وفق العلاقة بينهما وتتعدد بحسب ايجاد اختلافات في تلك العلاقة[5]. ولكن يبدو برغم تلك التعددية إلا ان الحظ الأوفر في التدارس والتباحث كان من نصيب دلالة الالفاظ والسبب لعله كونها الحائزة على المرتبة الاولى من جهة الاستعمال وهذا ما جعل الاوائل من الفلاسفة والمناطقة يحاولون أن يضعوا لها حدا ومفهوما يبيّن ماهيتها وأصل العلاقة بين اللفظ ودلالته فنجد مثلا ابن سينا يرى ان (معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى. فتعرف النفس ان هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما اورده الحس على النفس التفتت الى معناه)[6]. فالدلالة هي العلاقة بين المسموع وما يرتسم في النفس من معنى يقابله والمسموع هو الدال والمعنى النفسي هو المدلول. فهي علاقة بين شيئين متلازمين هما الدال والمدلول وحضور احدهما يستدعي حضور الاخر[7].

الانتزاع

يراد بالانتزاع الاستخراج والاستنباط. وقد ورد في لسان العرب (انتزع بالآية والشعر: تمثل ويقال للرجل اذا استنبط معنى اية من كتاب الله عز وجل : قد انتزع معنى جيدا ونزعه مثله اي استخرجه)[8].كما يراد به التوليد والانسلاخ والانبثاق . وهذا المصطلح اعتمد من قبل الفلاسفة للتعبير عن رؤيتهم في مسألة التصورات الذهنية فوجدوا ان التصورات تكون أولية وثانوية والاولى أساس التصور البشري والقاعدة الاولية له وتكون نتيجة الاحساس بمحتوياتها بصورة مباشرة ، وبناء عليها انشأ الذهن تصورات ثانوية ومفاهيم جديدة خارجة عن طاقة الحس وإن كانت مستنبطة ومستخرجة من المعاني التي يقدمها الحس الى الذهن والفكر، وهذه النظرية نظرية الفلاسفة المسلمين بصورة عامة[9].

وقد تمت استعارته هنا من حقله الفلسفي إلى حقل الدلالة وقصدنا به انتزاع واستنباط واستخراج دلالات متعددة من الدلالة الاولى أو الاساسية ولتكن الدلالة الاساسية أو ما تمثل القاعدة الاولية لانطلاق دلالات اخر هي الدلالة اللفظية كما يسميها ابن جني اذ يقول في باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية ان كل من هذه الدلائل مؤثر ومعتد به الا انها من جهة القوة والضعف تكون متفاوتة فالدلالة اللفظية تكون اقوى من الصناعية والمعنوية، لتمكن اللفظ من حمل ثلاث

---

[2] ينظر: معجم مقاييس اللغة: 259/2.
[3] ينظر: لسان العرب (دلل) : 248/11.
[4] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 171.
[5] ينظر: علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة:14.
[6] الشفاء : المنطق، العبارة ، المقالة الاولى: 4.
[7] ينظر: بحوث في علم الدلالة:13.
[8] لسان العرب (نزع) : 351/8.
[9] ينظر: فلسفتنا: 109-110.

دلائل، دلالته على مصدره ودلالته على زمانه ودلالة معناه على فاعله لذا هي اقوى ثم تليها الصناعية كونها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها فلحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به وبذلك دخلت كل من الدلالة اللفظية والصناعية في باب المعلوم بالمشاهدة. أمّا الدلالة المعنوية فلحقت بعلوم الاستدلال وليست في حيز الضروريات[10].

ومنه يتبيّن ان الدلالة ليست واحدة او لنقل الدلالة متعددة ويمكن الوصول اليها من جهات مختلفة ولكن الدلالة اللفظية اقواها او انها تمثل الدلالة الاولية او الاساسية. وهذه تعددية ليست في الدلالات فقط وانما في المعاني ايضا فمن المعاني ما يكون اساسيا ومنها ما يكون ثانويا اذ يذهب بعض المختصين الى ان بعض اقسام المعنى ، المعنى الاساسي او الاولي او المركزي ويكون متصلا بالوحدة المعجمية ، وقسم اخر هو المعنى الاضافي او العرضي او الثانوي او التضمّني ويكون الى جانب المعنى الاولي وزائدا عليه ولا يتصف بالثبوت والشمول والاتفاق عليه بين المتكلمين بلغة واحدة ليس شرطا لذا هو غير نهائي ومفتوح[11]. ولكون المعنى أحد أركان الدلالة فلنا أن نقول وجود دلالات اولية ودلالات منتزعة منها او ثانوية او ضمنية كما في تقسيم المعنى. وهذا من الاسباب التي دعت بعض الباحثين الى التوجيه بتحديد الدلالة الاصلية او المركزية للكلمة وبيان الدلالة الهامشية التي هي عرضة للتغيير بتغير المواقف الاجتماعية والسياقات اللغوية وبيان درجة التطابق بينهما للوصول الى الدلالة الصحيحة لأي كلمة[12]، لان كثير من الكلمات – كما يذهب الدكتور حلمي خليل- تحمل مع معناها المعجمي دلالات اخرى متضمنة في ذلك المعنى فتثيرها في الذهن وتوحي بها اي ان الدلالة المعجمية توحي بدلالات اخر او تستدعيها في الذهن[13]. وهذا يعني ان الدلالة ليست واحدة في الاصل كما يمكن انتزاعها.

اقسام الدلالة

علمنا من قول ابن جني – مر سابقة- ان الدلالة تكون (لفظية وصناعية ومعنوية) وهذا يبيّن ان الدلالة لا تستنتج من جهة واحدة وانما يمكن استنباطها من جهات ومستويات عدّة، كما ان لابن سينا تقسيم اخر للدلالة يعتمد على التقسيم المعنوي فجعل الدلالة دلالة مطابقة ودلالة تضمّن ودلالة استتباع والتزام . فما تكون على سبيل المطابقة يكون اللفظ فيها موضوعا لذلك المعنى وبإزائه. وما تكون على سبيل التضمّن يكون المعنى فيها جزءا من المعنى الذي يطابقه. أما دلالة الاستتباع والالتزام فيكون اللفظ دالا على المعنى بالمطابقة ويكون ذلك المعنى يلزمه معنى غيره كالرفيق الخارجي لا كالجزء منه وانما يصاحبه ويلزمه[14]. وقد تابعه بعضهم في ذلك[15] وهناك تقسيم اخر ذكره الدكتور احمد مختار ونسبه للنحاة الهنود اذ جعلوا من الدلالة دلالة عامة كدلالة (رجل مثلا) ودلالة تدل على الكيفية كدلالة (طويل) وقسم اخر يدل على الحدث كدلالة (جاء) وقسم اخر من الدلالة يدل على ذات كدلالة كلمة (محمد) [16]. كما ان لبعض المحدثين اراء في الدلالة واقسامها فذهب بعضهم الى ان الدلالة وبما انها بعض ما تعتمد عليه الادراك لطبيعة العلاقة بين قطبي الفعل الدلالي الذي لا يخرج عن اعتبار العرف او اعتبار الطبيعة او اعتبار العقل لذا فأقسامها اصبحت (عرفية او طبيعية او عقلية)[17] وهذا التقسيم لعله يشبه الى حد ما تقسيم ابن سينا. بينما نجد الدكتور ابراهيم انيس يرى ان السامع يمكن ان يستمد من العبارات المسموعة انواعا من الدلالات ويقسمها الى دلالة صوتية ويجعل مثالها الفرق بين (تنضخ

[10] ينظر: الخصائص: 98/3.
[11] ينظر: علم الدلالة : 36-38.
[12] ينظر: بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين: 46.
[13] ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: 108-109.
[14] ينظر: الاشارات والتنبيهات، المنطق : 28/1.
[15] ينظر: معجم التعريفات:92.
[16] ينظر: علم الدلالة:19.
[17] ينظر: علم الدلالة (اصوله ومباحثه في التراث العربي):68.

وتنضح) وما يتركه (الخاء والحاء) من اثر عند السامع وايضا (النبر) واثره على السامع ودلالة صرفية متعلقة بالصيغ وبنيتها ومثالها (كذّاب وكاذب) ودلالة نحوية ويريد بها نظام وهندسة الجملة، والدلالة المعجمية او الاجتماعية اذ يرى ان لكل كلمة دلالة معجمية خاصة بها مستقلة عمّا يمكن أن توحيه من دلالات زائدة عن مجيئها في سياق معين[18]. أمّا الدكتور فايز الدّاية فقد قسمها إلى دلالة اساسية أو معجمية وقصد بها جوهر المادة اللغوية المشترك في كل اشتقاقاتها وابنيتها الصرفية والدلالة الصرفية وهي الصيغة التي توجّه المادة الأساسية وتضعها في مجال وظيفي معيّن والى دلالة نحوية واراد بها ما تكتسبه الكلمة من تحديد موقعي في التركيب الاسنادي فيجعلها تبرز جزءا من الحياة الفكرية والاجتماعية بوساطة العلاقات الوظيفية الفاعلية والمفعولية والحالية والنعتية والتمييز والاضافة والظرفية، وأخيرا دلالة سياقية موقعيه اي ما يطرأ على الكلمة من تطوّر دلالي بتتابع العصور وفي المجالات المختلفة من علمية واجتماعية وفنية فتكتسب ابعادا جديدة او تحصر في اطار خاص او تنتقل الى مواقع لم تألفها من قبل[19] . ويبدو انهما تابعا ابن جني في بعض تقسيماتهما.

اما الدكتور فاضل السامرائي فنجده يقسم دلالة الجملة وفق اعتبارات مختلفة فتكون دلالة قطعية لها معنى واحد لا تحتمل غيره او احتمالية تحتمل اكثر من معنى وذلك باعتبار القطع والاحتمال، وباعتبار المعنى الظاهر والباطن تكون دلالة ظاهرة اي ما يعطيه ظاهر اللفظ من معنى او دلالة باطنة اي المعنى الذي يعطيه فحوى الكلام، وتكون دلالة خاصة وعامة باعتبار الخصوص والعموم وباعتبار التمام والنقص تكون تامة وناقصة[20]. وهذا التقسيم وان كان متعلقا بالجملة إلا انه ينبّه الى اهمية السياق في توجيه الدلالة.

في شروط الدلالة

1-القصدية

لما كان الانتزاع الدلالي يبحث في الدلالات المعنوية الاستدلالية المنتزعة من الدلالات اللفظية فأصبحت التعددية في الدلالة حاضرة ولكن مع وجود هذه التعددية نجد القصدية ايضا حاضرة. فإن الدلالات المنتزعة ليست اعتباطية او عشوائية لاعتمادها على قاعدة اولية تنطلق منها لتكون ضمن مقتضياتها وقصدية وارادة منتجها لان ارادة اللافظ هي التي تحدد دلالة اللفظ وذلك – وبحسب ابن سينا- (ان اللفظ بنفسه لا يدل البتة ولو لا ذلك لكان لكل لفظ حق من المعنى لا يجاوزه بل انما يدل بإرادة اللافظ فكما ان اللافظ يطلقه دالا على معنى، كالعين على ينبوع الماء فيكون ذلك دلالته ثم يطلقه دالا على معنى اخر، كالعين على الدينار، فيكون ذلك دلالته. كذلك اذا اخلاه في اطلاقه عن الدلالة بقي غير دال .....)[21]. فإرادة اللافظ وقصديته هي المحدد للدلالة اللفظية لذا يجب عند توليد ونسخ دلالات منها الالتفات الى تلك الارادة والقصدية وعدم اغفالها. حتى لا يبقى الباب مفتوحا للمتلقي ليخرج الخطاب بحسبه فلعله يأتي مثلا من يحاول اثبات الحاد الموحد قصدا وعمدا بإبعاد قصديته او المناداة بموته وفسح المجال والحرية غير المحددة وغير المنضبطة للمتلقي ليوجه النص وينتزع منه دلالات لا تتطابق مع قصدية وارادت منتج النص. لذا فإرادة اللافظ وقصديته هي الموجه والمحدد عند استنباط أوانتزاع الدلالات الجديدة او الثانوية

[18] ينظر: دلالة الالفاظ: 46-48.
[19] ينظر: علم الدلالة العربي :20.
[20] ينظر: الجملة العربية والمعنى: 12 وما بعدها.
[21] الشفاء ، المنطق ، المدخل ، المقالة الاولى:25.

2-المعنى اللغوي معيار الدلالة

ان ورود اللفظ في نص معين يترتب عليه اثر في ضبطه وتوجيهه من جهة دلالته على المعنى وحصره به وهذا ما ذهب اليه الجرجاني في تعريفاته اذ يقول (وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الاصول محصورة في عبارة النص واشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص ، ووجه ضبطه ان الحكم المستفاد من النظم اما ان يكون ثابتا بنفس النظم او لا، والاول: ان كان النظم مسوقا له فهو العبارة والا فالإشارة، والثاني: ان كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة ، او شرعا فهو الاقتضاء، فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادا ...)[22] فلا اجتهاد في اثبات الدلالة لاعتمادها على ما يثبت من معنى لا عن طريق الاجتهاد وانما عن طريق اللغة. ويبدو ان هذا الشرط ينسحب على ما ينتزع من دلالات معنوية ثانوية لارتباطها بالدلالة الاصلية للفظ وعدم انفصالها عنها. فلا يمكن اثبات دلالة من معنى لا يتطابق مع المعاني الاصلية للألفاظ فلا يحق لاحد ان ينتزع دلالات جديدة بناء على معاني ليست للألفاظ اساسا لأنه سيقع في التحريف والتزوير والظلم بوضعه الشيء في غير موضعه فلا اجتهاد ولا حرية في التوجيه او استنباط الدلالات الجديدة مقابل ما يثبت من معنى لغة.

الانتزاع الدلالي

نخلص ممّا تقدم ان العلاقة بين الدال والمدلول هي الدلالة (فهي ليست اللفظ وليست المعنى) ولما كانت تلك العلاقة تعتمد على اكثر من مستوى لذا يمكن القول بإمكانية انتزاع اكثر من دلالة. اذ ان اللفظ الذي يمثل الدال له اكثر من مستوى دلالي فمثلا المعنى اللغوي يمثل دالا والصيغة الصرفية او بنية الكلمة تمثل دالا اخر كما ان موقع اللفظ في الجملة له دلالته ايضا وليس هذا وحسب وانما مجيء اللفظ بسياق معين له دلالة تختلف عن دلالته عند وروده بسياق اخر وهناك مستويات أُخر يمكن ان يحملها الدال الواحد. هذا من جهة ، وهناك مستويات دلالية اخرى للدال يمكن رصدها من جهة اخرى وهي جهة (الاستدلال) اذ يمكن انتزاع دلالات جديدة للدال بناء على طريقة الاستدلال التي توصل الى المعنى المقصود، فتكون العلاقة بين الدال والمدلول او اللفظ والمعنى تعددية اي انها ليست دلالة واحدة وانما دلالة اساسية او اولى ودلالات منتزعة منها ارتكازا على طريقة الاستدلال التي توصل الى معان او مدلولات عدّة، اي ان العلاقة بين الدال والمدلول يمكن ان تبنى على اكثر من طريقة لاثبات المعنى(المدلول) وليكن شاهدنا على هذا التعدد الدلالي الانتزاعي الاستدلالي قول المسلم الاول والقول الاول للمسلم وهو التشهد (أشهد أن لا إله إلّا الله) وتحديدا مفردة (اشهد). فلو تأملنا في هذا القول ومعناه العام والصريح والاساسي نجده قول التوحيد اي القول بواحدية الاله عن طريق نفي وجود اله اخر (لا اله الا الله) . والفرد منا يقولها ويرددها كثيرا ويعلن انه يشهد بذلك والشهادة من (شهد) وتعني الحضور مع المشاهدة اما بالبصر او البصيرة، والشهادة قول صادر عن علم بمشاهدة بصيرة او بصر وقولهم شهدت جار مجرى العلم وبلفظه تقام الشهادة والشاهد يقول اشهد ولا يرضى له ان يقول اعلم [23]، والشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه والشهادة خبر قاطع، فشهده شهودا اي حضره والمشاهدة المعاينة ومنه يقال شهد الشاهد عند الحاكم اي بين ما يعلمه واظهره، وقول المؤذن (اشهد ان لا اله الا الله) اعلم ان لا اله الا الله وابين ان لا اله الا الله [24]. فدلالة هذه المفردة (اشهد) في هذا القول وفي غيره هي اعلم وابين فالدلالة اللغوية لها هي الاعلام والتبيين والاظهار والاعلان والاخبار وهذه جميعها ما جاءت الا عن علم او مشاهدة او حضور اي ان الفرد يصل الى درجة من الاطمئنان والوثوق من قوله حتى انه يكون خبره خبرا قاطعا. ولكن هذه الدلالة الاولية للمفردة في هذا السياق ، اذ ان ورود هذه المفردة هنا يجعلها تختص بدلالات عدة يمكن انتزاعها

[22] معجم التعريفات: 91.
[23] ينظر :المفردات في غريب الفاظ القرآن: 268-269.
[24] ينظر: لسان العرب(شهد) : 3/238-239.

من الدلالة الاولية وذلك باعتماد الاستدلال في تحديد الدلالة. كون العلم بواحدية الاله يمكن الاستدلال عليه في غير وجه اي ان الدال المقصود هنا مفردة (اشهد) يمكن الوصول الى معناها في غير طريقة من الطرق الاستدلالية وبذا تكون العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول وهي (الدلالة) متعددة اذ يمكن ان تكون الدلالة :

ـدلالة عقلية:

ويراد بها الاستدلال والبرهنة العقلية او المعرفة العقلية، لانطلاق الباحث في برهنته واستدلالاته على مقدمات وضوابط عقلية تمت البرهنة عليها في رتب سابقة للوصول الى مقصده الذي يصير معلوما مستدلا عليه بالبرهنة بعدما كان مجهولا[25]، فالاستدلال العقلي قوام هذه الدلالة ومادتها الاولية لبناء الدلالة بين الدال (اشهد) وبين مدلوله لاثبات وحدانيته سبحانه، وهذا المستوى الاستدلالي من المراتب التوحيدية المتقدمة، اذ يكون فيه تأكيد الاعتقاد بالدليل والبرهان وهذا يعد من الايمان الكامل الذي لا يتطرق اليه الخلل كما لا يخاف على صاحبه الزيغ والزلل[26]، فالطريق العقلي لإثبات وحدانية البارئ سبحانه ليس سالكا امام الافراد اجمع انما خاصا بذوي العقول القادرة على التحليل والاستنباط والتجميع ومن ثم الوصول الى مرحلة الاستدلال القطعي الذي يجعل من المقدمات العقلية دوالا توصله وترشده الى المدلول. فمن الاستدلالات العقلية التي توصل الى التوحيد:

- الاستدلال بالأسماء والصفات الالهية، اذ يمكن للعقلاء ان يستدلوا على توحيده سبحانه بصفاته لذا يستدل بعضهم بقوله (لو كان هناك واجب وجود اخر لتشارك الواجبان في كونهما واجبي الوجود فلا بد من تمييز احدهما عن الاخر بشيء وراء ذلك الامر المشترك وذلك يستلزم تركب كل منهما من شيئين: احدهما يرجع الى ما به الاشتراك والاخر الى ما به الامتياز .. و واجب الوجود بالذات بسيط ليس مركبا لا من الاجزاء العقلية ولا الخارجية)[27] كما ان (واجب الوجود بالذات لا ماهية له فهو صرف الوجود ولا يخلط وجوده نقص ولا فقدان ومن الواضح ان اي حقيقة من الحقائق اذا تجردت عن اي خليط وصارت صرف الشيء لا يمكن ان تثنى او تعدد)[28]. فهذه الطرق الاستدلالية لإثبات وحدانية الله سبحانه يمكن ان يستحضرها ويلتفت اليها ويجعلها العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول من يقول (اشهد ان لا اله الا الله) اي ان شهادته بنيت على براهين عقلية ولكن كما يظهر انها ليست في متناول كل من يقول الشهادة لشدة تعقد مسائلها، فيمكن ان تنتزع هذه الدلالة العقلية من قبل فئة معينة لهم القدرة على اثبات التوحيد بوساطة براهين قلما يلتفت اليها العامة، وليس الامر مقصورا على اعتماد صفات الله سبحانه للوصول الى توحيده. اذ يمكن الاستدلال والوصول الى التوحيد عن طريق اخر .
- الاستدلال بالآيات الأنفسية والآفاقية اي بالبرهنة العقلية من جهة المخلوق الى الخالق، ومن تلك الآيات العقل، فوجود العقل يدل على وجود الواحد الاحد، اذ ان حركة الافلاك بريئة من الغرض الشهوي – كجلب مشتهى- ومن الغرض الغضبي – كدفع مضرة- وانما مطلوبا عقليا، كما ان حركتها دائمة تشير الى ان محركها قوة عقلية. فالجزم بثبوت وجود العقل امر مقطوع به، و وجوده يدل على وجود واجب الوجود. كما ان صفاته الكمالية دلت على صفات واهبه و واهب الكمالات والفضائل لا يجوز ان يكون قاصرا عنها بل يجب ضرورة ان يكون اكمل واجل من الموهوب له. والعقل بتجرده عن المواد يدل على وجود مبدع واحد مجرد عن الممكنات وايضا علمه يدل على مفيض العقل و واهب النور والحياة و وحدته تدل على الفرد الاحد الصمد ، اذ

---

[25] ينظر: معرفة الله : 186.
[26] ينظر: تفسير سورة التوحيد (ضمن مجموعة رسائل فلسفية) :432.
[27] الالهيات : 50.
[28] م. ن . :51.

الكثير لا يفعل الفرد الواحد بل الفرد يفعل الكثير..[29] ومن الشواهد والبراهين الاستدلالية التي يتوصل اليها عن طريق العقل للدلالة على وجوده تعالى وعلى الوهيته و وحدانيته الاستدلال ب(النفس) لأنها (نور من انوار الله تعالى الفايض على الهيكل البشري وهي ايضا جوهر حي قائم بذاته عالم مريد سميع بصير قادر وليس بقديم، بل هو ممكن حادث، فيحتاج الى مؤثر قديم حي قيوم عالم قادر مريد سميع بصير على وجه اعلى والطف، لان النفس لكونها في مبدأ الفطرة خالية عن العلوم وهي عقل بالقوة ثم يصير عقلا بالفعل فلها معلم مكمل اخر اذ الشيء لا يستكمل ذاته ومعلمه، ان لم يكن عقلا بالفعل في اصل الفطرة، فيحتاج الى معلم اخر وهكذا فيتسلسل فمعلمه لا محالة جوهر كامل عقلي كما قال تعالى ((علمه شديد القوى))[النجم:5]، و وجود الجوهر الكامل العقلي دليل على وجود المبدأ الاول تعالى..)[30] وهكذا هي اغلب الاستدلالات العقلية، بهذا المستوى المتقدم من التفكير والاستنباط وهذا ما يجعلها دلالة ثانوية - لاختصاصها بفئة معينة- يمكن انتزاعها من الدلالة الاولى لتكن علاقة رابطة بين الدال والمدلول فتصبح (اشهد)- شهودا عقليا- (ان لا اله الا الله) فالشهود العقلي هو الرابط بين طرفي الدلالة او الموجه لاختيار ذلك المعنى الدقيق.

-دلالة قلبية:

وفيها تكون العلاقة بين الدال والمدلول معتمدة على الشهود القلبي . فيكون الدال (اشهد) متعلقا بمدلوله بدليل قلبي. وهذا السبيل لإثبات وحدته تعالى خاص بثلة قليلة يشاهدون بعيون القلوب ما لا يدرك بالأبصار فيرون جماله وجلاله وصفاته وافعاله بادراك قلبي، يدرك لأصحابه ولا يوصف لغيرهم، وطريق المكاشفات هذا او الفتوحات الباطنية والالقاءات في الروع غير مسدود بدليل قوله تعالى ((ويجعل لكم نورا تمشون به))[الحديد:28] و((يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)) [الانفال:29] اي يجعل في قلوبكم نورا للتفريق بين الحق والباطل لا بالبرهنة والاستدلال العقليين بل بالشهود والمكاشفة[31]، فلفظة (اشهد) يمكن ان يكون مدلولها موصولا بها عن طريق اخر ليس العقل وانما القلب. وهذه معرفة ممكنة ولكن مقدمتها تعتمد على المجاهدة وتزكية النفس وتطهير القلب ليكون صالحا لاستقبال الفيوضات فهذا التجلي يعتمد على التطهير والتنقية عن طريق التخلي عن الموبقات ومن ثم التحلي بالكمالات حتى تتجلى المعارف الالهية للقلب[32] فيكون الاستشهاد به لا بغيره بالنسبة للنفوس الزكية التي هي من نور الملكوت والعلوم الالهية التي جاءت في هذا العالم جاءت بها النفوس من عالم الاله ومعدن الارواح اذ كانت فيه مشاهدة لصورة شاهد الجلال ((وعلم ادم الاسماء كلها))[البقرة:31] وتلك الاسماء هي عين المسميات من حقائق الموجودات الدالة على الصفات الدالة على الذات. فالنظر الى الافعال الوجودية من جهة نقائصها وامكاناتها وافتقاراتها نظرا الى الصانع الكامل المعطي الغني المغني فالنفوس حيث كانت في صلب ابيها مشاهدة له تعالى بوساطة نقائصها المستدعية للصنع والتكميل والاية ((ألم تر الى ربك كيف مد الظل))[الفرقان:45] نبهت الى ذلك، اي انظر الى الذي مد الظل، يعني رب الظل. وايضا في خطاب الذرات ((ألست بربكم قالوا بلى))[الاعراف:172] اذ لو لم يكونوا شاهدين مشاهدين كيف اعترفوا بالالهية واقروا بالربوبية؟ وهذا اقرار بربوبيته لا بوجوده لان الاخير مركوز في بداية العقول واوائل فطر النفوس وقوله تعالى ((فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد))[ق:22] يدل على ان النفس كانت مشاهدة للكمال المطلق في عالمها[33] فهذه المعارف يمكن ان تنعكس على القلب وتكون دليلا قطعيا لقول (اشهد ان لا اله الا الله) بشهود قلبي. فتكون الشهادة الاعلامية والاعلانية والاظهارية لوحدته تعالى هنا مبنية على الاستدلال القلبي وهذه

[29] ينظر: مفاتيح الغيب : 245- 247.
[30] ينظر: م. ن : 248.
[31] ينظر: الالهيات على هدى الكتاب والسنة: 1/93-94.
[32] ينظر: معرفة الله: 187.
[33] ينظر: مفاتيح الغيب: 240-241.

الدلالة القلبية ليست من نصيب العامة وانما كما قيل فيها انها (طريقة الصديقين الذين يلاحظون حقيقة الوجود المطلق ويصلون الى شهود الحق)[34]. فطالما خص بها الصديقون ومن كان له قلب فهي دلالة ثانوية منتزعة من الدلالة الاولية، ولكن لا يمكن اغفالها فهي دلالة اعتمد فيها الشهود القلبي للاستدلال على وحدته سبحانه.

ـالدلالة النقلية

لان الدلالة المعنوية عمادها الاستدلال ، فيمكن ان ننتزع دلالة معنوية استدلالية اخرى ـ فضلا عن العقلية والقلبية – ركيزتها الدليل النقلي اي انها تعتمد في الاستدلال للوصول الى المعنى على النقل وهذا الدليل كما يراه بعضهم تكون بعض مقدماته نقلية مستفادة من السمع، وفيه صدق المخبر معتبر ولولاه لما افاد العلم بالمدلول[35] . ففيه يكون سماع واطمئنان واتباع، اذ لولا الاطمئنان لما عد دليلا موثوقا وجب اتباعه. وعليه تكون دلالة (اشهد) هنا مبنية على الاستدلال الاتباعي النقلي فنظهر ونعلن ونعلم ان لا اله الا الله كما اعلن واظهر وبين رسول الله (صلى الله عليه واله) في شهادته وكما اخبرنا القران الكريم بذلك والزمنا به فبهذه الشهادة اعتمدت الادلة النقلية وهذا جائز. اذ يجوز اثبات التوحيد بالأدلة السمعية، لان ارسال الرسل واثبات نبوتهم ودلالة المعجزات على صدقهم لا يتوقف على التوحيد وانما على وجود الصانع وعلمه وقدرته واذا ثبت بالدليل العقلي وجوده وانه قادر على ارسال الرسل جاز ان يثبت بأخبارهم انه واحد لا شريك له في الالهية[36] ، ومنه ((قل هو الله احد))[الاخلاص: 1].

فالدلالة هنا نقلية توصل اليها بالنقل وهو دليل اخر يتوصل به الى معنى المفردة. وهذه دلاله منتزعة من الدلالة الاولى نتيجة مجيئها في هذا السياق. ومنه نجد ان العلاقة بين مفردة (اشهد) والسياق اعطتها ميزة تنفرد بها فتتعدد دلالاتها انتزاعا. اذ يمكن ألا تنتزع هذه الدلالات من الدلالة الاولية لو جاءت المفردة بسياق اخر. فمثلا لو رأينا احدهم يسرق وشهدنا بما رأينا فلا سبيل عندها لانتزاع دلالات معنوية استدلالية متعددة كما في شهادة التوحيد، كوننا سنشهد انه سارق اعتمادا على الرؤية البصرية فلا مكان للنقل والرواية او القلب او العقل للاستدلال على تحقيق الامر فسنعلن ونظهر ونبين انه سرق فلا يمكن انتزاع دلالات منه، وعليه فالدلالة الانتزاعية المقصودة هنا غير الدلائل المتعلقة باللفظ او الصيغة الصرفية او الرتبة ولا حتى المتعلقة بطبيعة العلاقة بين اللفظ ومعناه من جهة ان المعنى وضع له اللفظ وضعا طبيعيا مطابقا ام انه وضعا عرفيا اتباعيا وانما هي دلالات تقع في حيز المعنى من جهة الاستدلال عليه. وهذا ما جعل الدلالة متعددة بين اللفظ الواحد ومعناه الواحد. فالبحث تناول مفردة (اشهد) من جهة واحدة وانتزع منها اكثر من دلالة ولم يتم تناولها من جهات عدة، ولو حدث لما حدث انتزاع وانما تعدد فقط لان لكل مستوى دلالة خاصة به فاللصوت دلالة وللصرف دلاله وللرتبة النحوية دلالة كما للفظ دلالة و... وانما الدلالة هنا في حدود الاستدلال في الوصول لمعنى اشهد في سياقها الذي جاءت به (أشهد أن لا إله إلاّ الله)

[34] الشواهد الربوبية (ضمن مجموعة رسائل فلسفية): 353.
[35] ينظر: تفسير سورة التوحيد (ضمن مجموعة رسائل فلسفية) : 432.
[36] ينظر: م . ن، 433.